رقص السماح

للأستاذ حسني كنعان

هو نوع خاص من أنواع الرقص العربي القديم المجهول في أقطار البلدان العربية ، اختصت به مدينة حلب وحدها دون سواها من البلدان . وأول من اخترع هذا النوع من الرقص الفنى الشيخ عقيل المنبجي المدفون في ذروة جبل في قضاء منبج يسمى باسمه جبل الشيخ عقيل ، ومنبج هذه مدينة تبعد عن حلب ٦٠ كيلا يرجع تاريخ وفاته إلى ٤٠٠ سنة على الجملة ، وكان رحمه الله شيخ طريقة من طرق الأحمدية الموهوبين المرموقين ذوي الكرامات والخوارق ، اخترع هذه الطريقة من الأذكار التي يلجأ إليها أصحاب الطرق الصوفية في خلواتهم عند ما يتحلقون حلقات حلقات في الزوايا يذكرون الله في طرائق شتى ، وفي أنغام متنوعة وموقعة على الضروب والأوزان ، يرمز إليها بالأرجل ، أو بالأيدي ، أو بتقديم الصدر أو بتأخيره ، وما هي إلا أن تبدأ حلقات الأذكار بإنشاد الموشحات حتى ترى أصحابها يتنقلون على حسب التواقيع والأوزان ، ويروحون ويجيئون في القاعات ويضربون الضروب بالأيدي والأرجل ، وبتقديم الصدر وتأخيره في انسجام وترتيب وخفة أو تباطؤ في التنقل بهج الناظرين ، فما يكاد ينتهي الجمع من إنشاد موشح حتى يبدأ غيره من نغمة أخرى ، فترى نفسك أمام هذى الموشحات الأندلسية التاريخية الموروثة كأنك في قاعة من قاعات ابن سراج في الأندلس أو ابن سريج ، فتذهل عن الدنيا لشدة ما يداخل فؤادك من أنواع الطرب والشجن والتلهي ، فتخالك في عالم غير عالمنا وفي دنيا غير دنيانا . وفي حلب الشهباء مشيخة في هذا الفن اختصاصيون ذاع صيتهم لدينا وغدوا مضرب الأمثال في البراعة ، عرفنا من المتوفين منهم الشيخ صالح الجدبة ، وكان يحفظ عشرة آلاف موشح مع ضروبها وتواقيعها وأوزانها ، وعبده بن عبده ، وأحمد أبو خليل القباني الدمشقي المعروف ، وغيرهم من الذين لم تحضرني الآن أسماؤهم ...

وعرفنا من الموجودين على قيد الحياة منهم الشيخ عمر البطش ، والشيخ علي الدرويش ، ومحمد طيفور . وإني أسجل هنا للتاريخ والحقيقة أن حلب قد انتهى إليها هذا الفن في بلادنا ، ولأبنائها ميل خاص فيه طغى على جميع الميول ، يصلون الليل بالنهار ، والنهار بالليل دؤوباً عليه . وبين هذى الرقصات نوع خاص يسمى في عرفهم « إسق العطاش » ، وهي سلسلة موشحات من نغمة الحجاز يستغرق معهم إنشادها من المساء حتى مطلع الفجر . ولأمر ما جاء في الأمثال القديمة لدينا إن الدور أو الأغنية تنبع من مصر وتنتشر في دمشق وتخلد في حلب . فأهلها من أكبر المحافظين على القديم ، ومن أكبر المتلذذين والمتكسبين من هذه الصناعة إتقاناً ، وحسبك أن تعلم أن الشيخ علي الدرويش كان من كبار الأساتذة الذين احتاجت إليهم مصر في تعليم هذا الفن في معاهدها الفنية الكبيرة ، واحتاجت إليه تونس وغيرها من الأقطار العربية ، وأن تعلم أن كبار العازفين على الكمان ، كالأستاذ توفيق الصباح[1] ، وكريم عزة ، ويوسف عزة ، وجميل عويس ، وسامي الشوا ، وفاضل الشوا ، جميعهم من الحلبيين ...

الدامرة ، والعواصم الآهلة ..

ولحسن الحظ أن الموظف تعتريه حالة نفسية ، ويسرع في قضاء ما أريده ، وما أتيت من أجله ، قضاء عاجلا ناجزاً ، غير مقيد بقيد ، ولا مشروط بشرط ، على خلاف العادة ، إذ كان يصرفني كل موظف من أمامه في لباقة أو غير لياقة . . وكأنه حينما يسرع في قضاء مصالحي يشفق بي ، ويعطف علي ، أو كأنه يريد أن يبعدني عنه ، ليبعد عنه الشر ! ! . .

ومهما يكن ، فإن اسم عنيبة أفادني إلى حد كبير في قضاء كثير من حوائجي حينما كنت أذهب بنفسي لقضائها ، وكان خيراً وبركة على الرغم من كل ما يقال ، وعلى الرغم من ألسنة بعض الإخوان والزملاء الحداد التي لا تني عن القدح في عنيبة ، والنيل منها في كل مناسبة ، وفي كل مكان !

عبد الحفيظ أبو السعود

---

(١) وهو الملقب بسلطان المكنجة ، وله عدة مؤلفات وقطعات موسيقية معروفة .

رأت الحكومة السورية فى عهدها الوطنى الميمون الطلعة أن تنهض بهذا الفن كما نهضت بغيره من بقية الفنون ، وأن تحيى مواته قبل أن تفنى البقية الباقية من أربابه وأساطينه ، فأسست فى دمشق تحت إشراف النائب السيد فخرى البارودى الذى يحدب على هذا الفن وأربابه لميله الخاص إليه مدرسة أطلقت عليها المعهد الموسيقي الفنى للاذاعة السورية الموقتة ، تسلم فرع الموشحات ورقص السماح فيه الشيخ عمر البطش ، ويعاونه فى ذلك سعيد فرحات وصالح المحبك الذى كان من أعضاء المؤتمر الموسيقى هو والصباغ المنعقد فى القاهرة تحت إشراف ساكن الجنان الملك فؤاد . واستقدمت له من تركيا الأستاذ رفيق فرسان لفرع النوتة والسماعيات والبشارف يرافقه زوجته وشوقى بك ذلك الموسيقى الذى كتب عنه صديقنا الطنطاوى منذ أمد قصة الموسيقي العاشق فى الرسالة الغراء .

ويعاون هؤلاء فى أعمالهم أساتذة بعضهم من مصر وبعضهم من دمشق وحلب . ثم تألفت فى المعهد فرقة خاصة جمعت الأساتذة وبعض النوابغ من التلاميذ يعرضون بضاعتهم ومنتوجاتهم على الملأ فى الحفلات الخاصة والعامة ، ويعرضونها فى محطة الإذاعة الدمشقية ، فيسمع الناس فيها السحر الحلال ، ويشهدون روعة الفن القديم . ولقد شهدت هذه الحفلات أكثر من مرة ، وكنت كلما شهدتها أزداد بها إعجاباً وفتنة ورغبة فى سماعها ، وقد ينتهى العمر وإعجابى لا ينتهى برقص السماح . وكم كنت أتمنى عند ما أشاهده الفينة بعد الفينة أن لو يتاح لإحدى الشركات السينمائية المصرية أو غيرها أن تأخذ شريطاً عنه فتعرضه على الناس ليشهدوا روعته وإتقانه ، وهو فن خالد قد أذهب الأقدمون فى إيجاده نور البصائر ، عسى بمشاهدته يلقى من التشجيع فى الأقطار الشقيقة ما يحفز الهمم على تعميمه وإحيائه بدلا من هذه الرقصات الخليعة الماجنة المخنثة التى سرت إلينا عن طريق الغرب سريان السل أو السرطان وفيها المخاصرة والمعانقة والمعايب ...

تصور معى سيدى القارئ كوكبة من التلاميذ الأحداث توحدت ملابسهم وهيآتهم ، وانسجمت أصواتهم ، واتسقت نغماتهم وحركاتهم ، ينشدون كالعنادل الموشحات الموقعة على الرقصات والآلات الوترية ، وقد تخرجوا على أيدى الصناع الفنيين وحذقوا وبرعوا فى فنهم ، تعرض صورهم أمامك على الشاشة ، وتصور ما تحدثه هذى المشاهد وهذه الأصوات فى نفسك من أثر ورغبة فى إحياء موات هذا الفن . ألا ترى معى وجوب تعميمه والدعاية له ؟ وإنى لأضمن لهذا الفن الرائع الانتشار عن هذه الطرق ، فهو يرى كأنه جديد لدى أبناء هذا الجيل ، وكل جديد لا بد له من دهشة وروعة وفتنة . وإنى لا أزال أذكر ما أحدثته أول حفلة من حفلات هذا المعهد من أثر بالغ فى نفوس الشاهدين فى صالة سينما دمشق ، أخص بالذكر منهم المتشيعين للموسيقى الحديثة الدخيلة التى أفسدت علينا قديمنا ، وذهبت بأذواقنا ، تلك الموسيقى التى مجتها الأرض والسماء وهى بعيدة عنا ، لا تمت إليها ولا تمت إلينا بصلة أو نسب !

إنها لمأثرة تذكر لمعالى وزير المعارف الشاب الدكتور منير العجلانى بك أن يتم هذا الأمر فى عهده وفى ظل صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية المفدى الزعيم شكرى القوتلى بك الذى له فى كل عمل مأثرة ، وفى كل نهضة مفخرة ، فالنهضة السورية فى كافة نواحيها مدينة إليه وإلى رئيس وزارته السيد جميل مردم بك

سدد الله خطوات الجميع لما فيه الخير والفلاح لخدمة هذا الوطن الفدى الذى أخذ بهذه الوثبة يشق طريقه فى الحياة .

(دمشق) حسنى كنعان

يفيد القاضى والمحامى والفقيه كتاب

مبادىء فى القضاء الشرعى

الأستاذ الزين القاضى

يطلب من دار الرسالة بالقاهرة

ومن الأستاذ على عبد الله بالمنصورة

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد